بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله المنعم الذي أنعم على عباده بالإسلام والقرآن الكريم

أما بعد :

فإنّ المدنية منهج ونظام سياسي جديد، ارتكز على مبادئ المساواة والتسامح ، وإذا رجعنا إلى كتاب الله (القرآن الكريم) سنجد هذه المبادئ التي تدعو إليها المدنية الحديثة ،هي المرتكز والأساس الذي يهدف إليه القرآن الكريم ، وما الإسلام إلّا مدني يسعى لتنمية السلوك المدني الذي يعد من مقاصد الشريعة الإسلامية ، وهذا الأمر قد أثبته النبي (صلى الله عليه وآله)عندما أسس دولته ، دولة العدل فأول عمل قد قام به هو حفظ الحقوق، والدماء، والتعايش السلمي، والمساواة ، وما وثيقة المدنية إلا شاهداً على ذلك، فمن خلالها حفظ الحريات سوءاً أكانت هذه الحريات عقدّية ، أم فكرية ،أو غيرها ..

وزيادة على هذا نراه (صلى الله عليه وآله) قد جعل من حكومته ، حكومة شاملة فقد أسس ما هو مهم بحسابات اليوم فقد أسس جيشاً ، وبيت مالاً ، وأهتم بالعلم والكتابة والصحة ، ورعاية الأيتام، والأرامل، وكبار السن .

فالمدنية الحديثة تسعى لتحقيق هذه الأمور التي قد جعلها الله لعباده قبل أكثر من أربعمائة وألف عام ، والذي يثير الشجون هنا أن هنالك مجاميع تدّعى المدنية في عصرنا الحاضر ، هدفها الأساس هو استهداف دين الله، ونشر التشكيك، والتشويه في ذات الله، بزعمهم أن الدين لا جدوى منه، وانه يجلب الويلات للشعوب، فيتخطرني قول (تشارلز داروين) الذي يعد من أساطينهم عندما يتكلم عن الدين قائلاً : " أن الدين قضية عقلية محترمة، يتبعها مفكرون وعقلاء عبر كل الأزمنة والعصور، فوجد الحاكم لهذا الكون قد دانت به جموع من أعظم العقول التي وجدت على الإطلاق" .

فمن هنا يجب التمييز أن هنالك نوعان من المدنية، مدنية في ظل الله، ومدنية في ظل الإلحاد، لذا عزمنا بعد التوكل على الحي الذي لا يموت ، أن يكون مدار بحثنا في هذا الموضوع ،الموسوم بـ (المدنية في ظل القرآن الكريم) كي نثبِّت مدنية القرآن الكريم، والإسلام الذي جاء به محمد(صلى الله عليه وآله)؛ لعل بحثنا هذا نؤجر عليه من قبل الله.

العدد ٥٦

٢٣ ربيع الثاني ١٤٤٠هـ

٣٠ كانون أول ٢٠١٨م

أما عن تقسيم البحث فقد جاء على مقدمة، ومبحثين تضمن المبحث الأول : المدنية والقرآن الكريم، وكان على ثلاثة مطالب ،وتضمن المبحث الثاني : المبادئ والوظائف في ضوء المدنية والقرآن الكريم ، وكان على مطلبين ، ومن ثم ختمنا البحث بخاتمة تضمنت مجموعة من النتائج .

المبحث الأول : المدنية والقرآن الكريم

المطلب الأول : تعريف المدنية وجذورها

أولاً : المدنية لغةً :

(مَدَنَ) مدن بالمكان ، أقام به والمدني (اسم منسوب إلى مدنية ، خاص بالمواطنين) [١]

((ومدن،مدن مخففاً ومثقلاً،وقيل هي من دينت أي ملكت، وفلان مدن المدائن تمديناً))[٢]

أما اصطلاحاً :

المدنية : هي التربية والتحضر ومجموعة القيم الإنسانية ، فعندما يقال : هذا إنسان متمدن المقصود منه انه متحضر .

وزيادة على هذا عُرفت أنها : هي مجموعة المفاهيم المرتبطة بالقوانين التي من شأنها تنظيم الحياة العامة لمجتمع من المجتمعات . [٣]

الذي يتضح بعد هذا إن المدنية : تعني التحضر والبناء ، وأنها ضد البداوة ، جل غايتها الإنسان ؛ لأنه الأسمى في هذا الوجود

ثانياً : الدولة المدنية :

هي دولة تقوم على الأساس الأول المتمثل بالإنسان ، فمن واجباتها حماية هذا الإنسان الذي يمثل المجتمع بغض النظر عن الاختلافات في الأعراق والانتماءات الدينية والقومية والفكرية ، كما تهتم بتعاون جميع الإفراد المتواجدين في المجتمع الذي تحكمه تلك الدولة ، والذي يسير وفقاً للقوانين والنظام الذي وضعت له ، فيقتضي ذلك وجود أمر مهم إلا وهو (العدل) المتمثل بالقضاء ، الذي هو أساس الملك كما يعبر عنه ، فالقضاء العادل إذا طبق على كل صغير وكبير وفقير وغني ، مسؤول ومواطن سيكون ضمان ألا يتعرض أي فرد أو شخص للانتهاك ، وإذا تعرض لذلك ، فهناك سلطة عليا يلجأ إليها حينما تهدد حقوقه ، وزيادة على ذلك بث روح التسامح والوئام داخل المجتمع ليأمن الجميع ،

العدد ٥٦

٢٣ ربيع الثاني ١٤٤٠هـ

٣٠ كانون أول ٢٠١٨م

في ظل هذه الدولة ، والاهتمام بالجوانب المعرفية في شتى مجالاتها؛ لزيادة الإدراك والوعي للتعامل مع الظروف المحيطة بصورة صحيحة .[٤]

ثالثاً : جذور الدولة المدنية :

إن مفهوم الدولة المدنية ليس بالجديد ، إنما يرجع الى عصر ما قبل الميلاد إلى حكماء اليونان من الفلاسفة الذين قد وضعوا اللمسات الأولى لنظرية الدولة ؛ لتكون بمنأى عن سياسة الهيمنة والاستبداد ، وبنفس الوقت تكون مناهضة لها؛ لأن المجتمع آنذاك كان يعاني الأمرين من السلطة الحاكمة .

فكان الدور الأبرز والأكبر لظهور أساطين الفلسفة ، الذين بدورهم قد بلوروا هذا المفهوم (لنظرية الدولة المدنية)[٥]

أما الدولة الليبرالية الحديثة قد قسمت المجتمع اليوناني إلى طبقات متعددة ، مما تسبب بانتشار الفقر والعوز والظلم والجور .

وفي أوربا الحديثة ، فإن الدولة فيها قد اتخذت منعطفاً ومساراً سياسياً تاريخياً مغايراً ، بعد أن نشأت على أنقاض سلطة الاستبداد المتمثلة بالإقطاع الكنسي .[٦]

المطلب الثاني :

أولاً : بين المدنية والقرآن الكريم

إن الدولة المدنية كما ذكرنا آنفاً قوامها الإنسان والاهتمام به وعدم انتهاك حقوقه، وتوفير وسائل العيش الكريم له .

فعندما نطابق ما جاءت به المدنية في أمور متعلقة بالإنسان وحياته، فضلاً عن اهتمامه بالجوانب المعرفية سنجد إن القرآن الكريم قد سبق المدنية الحديثة بذلك ؛ بيد أن القرآن الكريم فيه سورة الإنسان بينت ذلك ، وجاء في قوله تعالى كذلك (وإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً) [٧] ،وكما هو معلوم لدى الجميع ،إن هذا الاستخلاف هو التمثيل لهذا الإنسان ومنحه الثقة؛ لأن الله قد كرم الإنسان وجعله أعلى خلقه منزلة لقوله تعالى (ولقد كرمنا بني آدم ...) [٨]

فالنظم التي جاءت في القرآن الكريم، والتي سنَها الإسلام بصفائها ورونقها، لهي أعدل من أن يهتدي إليه العقل البشري من النظم ؛ فلا يزال أصحاب المدنية الحديثة يدّعون أنهم أول من أعلن عن حقوق الإنسان في المساواة بغض النظر عن الانتماء والعرق .

فالقرآن الكريم فيه الكثير، بل كلهُ الضامن الحقيقي لحقوق الفرد بصورة خاصة والمجتمع بصورة عامة ، فقد أطلق باب الحريات الفكرية والحريات الدينية بقوله تعالى (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) [٩] وقوله (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) [١٠] وقوله (وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ...) [١١].

وزيادة على ذلك دعا الله في كتابه إلى أعمار الأرض قال تعالى (هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ واسْتَعْمَرَكُمْ فِيها...) [١٢]

ويبدو أن هذا العمران لا يكون إلا بوضع الخطط للوصول إلى خيرات هذه الأرض ، ومن ثمّ المبادرة لتوظيفها في بناء الحياة . [١٣]

وبناءً على ما جاء نجد أن القرآن الكريم ، قد سبق المدنية (الحديثة) لإقرار العدل والحرية؛ لأن العدل يعد من أعظم حدود الله وأوامره ؛ بيد أن الأوامر كلها أفعل كذا ولا تفعل كذا ، إلا العدل فأنه قد جاء بصيغة الأمر المباشر بقوله تعالى (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) [١٤]وقوله (وإِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) [١٥] وقوله تعالى(قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ) [١٦]و (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) [١٧]

فإذا أرادت أي دولة النهوض فعليها الحكم بالعدل؛ لأن العدل مخ الشريعة وقلبها الحرية،كما فعل النبي (صلى الله عليه وآله)، حينما أسس دولته العظيمة . [١٨]

ثانياً : <u>دولة الله المدنية :</u>

قد أثبت النبي (صلى الله عليه وآله) من خلال سنته التي أُمر بها من قبل الله ، في الفعل والقول والتقرير ، أنه أهتم اهتماماً بالغاً ببناء الله المتمثل بالإنسان، كما جاء في الحديث (إن هذا الإنسان بنيان الله ملعون من هدم بنيانه)[١٩]،وزيادة على ذلك نجده(صلى الله عليه وآله) قد جعل من المجموعة الحقوقية(هدفاً أسمى)، لأنتشار التسامح وتقبل الآخر، حتى وان كان على غير ملة أو يؤمن بعقيدة أخرى وأفكار منحرفة .

وأن هذا التسامح والتعايش ، كان هو اللبنة لعيش الإنسان بسلام في كنف الإسلام وبكنف المشرع (صلى الله عليه وآله)؛ بلحاظ انه(صلى الله عليه وآله) لم يبخس حقاً، ولم يعتدي على أحداً قط ولم ولم ...، بل نجد الذين كانوا ناصبين العداء له(صلى الله عليه وآله) يقولون : بأن محمداً رجلاً شهم وكبير في كل شيءٍ وصاحب مروءة[٢٠] .

فبعد هذا كله سنقوم بدراسة كل خطوات حكومة الله المدنية،والتي يعد النبي(ﷺ)سنامها الشامخ، لنرى كيف هي حكومة العدل المدنية في ظل الله ، وكيف هي حكومة (المدنية) في ظل الإلحاد .

المطلب الثالث :

المدنية الحديثة (العراق أنموذجاً)

لقد عرفنا جميعاً أن الارهابين يرتدون (أحزمة ناسفة) لقتلنا، في حين أن هنالك (أقلام) ترى نفسها في رأس هرم الثقافة للأسف، تقتل الناس كذلك ، فنراهم تارة يظهرون أنفسهم بالحنو الوطني والحرص على الوطن والمواطن بأسم (المدنية) ، وتارةً أخرى باللوم على الإسلام وما قدم من نتائج للناس بحجة داعش !!

صحيح أن المدنية ظاهرها حسن والكل يدعو لها ، لكن أي مدنية تلك ؟ هل هي المدنية التي يأتي بها الملحدون ، الذين ينفثوا سمهم عند كل حدث أو تأريخ ، بحجة إن الإسلاميين ماذا قدموا للبلد ؟ نحن معكم في ذلك بأن من يمثل الإسلام السياسي في الوقت الحاضر، ليس من الإسلام بشيء ؛ لأن المسلم الموحد نقياً طاهراً لا يقتل ولا يقبل الظلم لشعبه، وبصورة مختصرة شعاره (حب الأوطان من الإيمان) فهؤلاء الذين يتحجج بهم البعض ممن يدّعي المدنية بأنهم حجة وهم من يمثلوا الإسلام، نقول لهم : انتم واهمون هؤلاء على خطأ كبير؛ لأن قراءتهم كانت خاطئة للإسلام وما جاء به محمد بن عبد الله (ﷺ)؛ لأن الإسلام دين المدنية والسلام ، وهذا ما سنثبته في هذا البحث من خلال ما جاء في مبادئ المدنية الحديثة والأمور التي تدعو إليها ، سنجد أن الإسلام قد قطع شوطاً كبيراً في المدنية قبل ألف وأربعمائة سنة ونيف .

فعند التدقيق والتمحيص سنجد من يدعي المدنية اليوم في العراق على وجه الخصوص للأسف هم أكثرهم ملاحدة يشككوا بالذات الإلهية ، وكأنما هو هذا الهدف الأسمى والأوحد عندهم ، أي ضرب التوحيد ؛ وإذ يذكرنا هذا الأمر (بداعش) الإرهابية ؛لأنهما صورة لعملة واحدة،وربَّ سائل يسأل كيف هذا الأمر فنجيب عنه بالآتي :

أليست داعش قاتلة للنفس المحترمة التي خلقها الله ؟ فالجواب يكون نعم إنها قاتلة للنفس المحترمة، أليست المدنية (الإلحادية) تهدف إلى تشويه الفكر وقتل الفطرة عند الناس ؟ الجواب يكون نعم ، أنها تسعى لتشويه الفكر وقتل الفطرة عند الإنسان ؛ من

خلال نفث سمومها والتشكيك ، قال تعالى (فِطْرَتَ اللَّـهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا)[٢١] فعند المقارنة والمطابقة بين ما تدعو إليه داعش وما تدعو إليه المدنية (الإلحادية) نجد كلاهما يبث روح التشكيك والتشويه ، لكن أين ؟؟ أكيد في صورة الإسلام من خلال القتل، والإرهاب ، مما سيؤدي هذا بدور التشكيك في كل إنسان مسلم ، بأنه لا يمثل الفطرة الإلهية،هذا من جانب ، أما الجانب الآخر الإسلام هو دماغ وجمجمة الأديان السماوية ؛ فإذا ضرب حتماً سيضرب التوحيد كله .

فضلاً عن المجازر التي ارتكبها الملحدون في العالم باسم المدنية ،والمتتبع للتأريخ يجد ذلك في أوربا الحديثة .

فيقول (جون لوك) مؤسس المدنية الحديثة في رسالته في التسامح : ((إن الملحد غير مقبول في المجتمع المدني ، ويقول كذلك : لا يمكن التسامح على الإطلاق مع الذين ينكرون وجود الله ، فالوعد والعهد والقسم من حيث هي روابط المجتمع البشري ، ليس لها قيمة بالنسبة إلى الملحد ، فإنكار الله لو كان بالفكر فقط يفكك جميع الأشياء)).[٢٢]

ومن الأساليب التي اتخذتها داعش وصاحبتها (المدنية الإلحادية) في حربها ضد الدين، الأول :أسلوب الأذى والسخرية والأخر : التآمر الداخلي ، والثالث : التأثير على شباب هذه الأمة لإضعاف خطها العقدّي الأصيل والأخلاقية القرآنية .

وبعد هذا يجب علينا أن نفرق بين المدنية التي يدعو إليها الجميع ونحن منهم ، المدنية التي أساسها المواطن والعلم والتعلم والعمران ، والمدنية (الإلحادية) التي لا تختلف عما فعلته داعش ؛ أذن هنالك نوعان للمدنية ، الأولى المدنية في ظل الله والثانية المدنية في ظل الإلحاد .

العدد ٥٦

٢٣ ربيع الثاني ١٤٤٠هـ

٣٠ كانون أول ٢٠١٨م

المبحث الثاني : المبادئ والوظائف في ضوء المدنية الحديثة والقرآن الكريم

المطلب الأول : مبادئ المدنية الحديثة والقرآن الكريم

لقد سبقت حكومة النبي (صلى الله عليه وآله) ودولته ، كما أسلفنا المدنية الحديثة ومطالبها والمبادئ التي تدعو إليها ، فمن المبادئ التي تدعو إليها (المواطنة ، وقبول الآخر – التسامح والسلام – الديمقراطية).

أولاً : المواطنة : تعني أن جميع الأفراد الذين ينتمون للمجتمع لا يعرفون بدينهم ، أومهنتهم أو سلطتهم ؛ إنما يُعرفون بأنهم مواطنون ، بمعنى لهم حقوق وعليهم واجبات جميعاً[٢٣] ، قال تعالى (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا)[٢٤] ، فالإنسان بهذا مساوٍ للإنسان من حيث الأصل والنشأت ، مساوٍ له في القيمة والاعتبار والتعبير والتفكير ؛ وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ((الناس سواسية كأسنان المشط))[٢٥]

ثانياً : قبول الآخر (التسامح والسلام يعني :التعايش السلمي) في ظل مجتمع تحكمه المدنية فالله أمر بذلك في كتابه الكريم بقوله (وان كانت طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا)[٢٦] فقد آمن بشعيب (ع) جماعة وآخرين قد كفروا ، فما كان من شعيب (ع) إلا الدعوة للتعايش السلمي، وان لا يتعرض أحدهما للآخر ، سواء اختار الإيمان أم الكفر. [٢٧]

فإذا رجعنا إلى بدايات دولة النبي (صلى الله عليه وآله) نجد إن الإسلام قد سمح لأهل الملل الأخرى العيش بسلام في كنف حكومة الإسلام، وأن يقيموا شعائرهم الدينية الخاصة بهم ، وعدم التعرض لهم ؛ فدعا النبي (صلى الله عليه وآله) قادته بعدم التعرض للأديرة ورجالها ، وما وثيقة المدنية إلا خير دليل على ذلك.[٢٨]

ثالثاً : الديمقراطية :

وهي المبدأ الذي يمنع احتكار الدولة وغصبها لمجموعة معينة أو فرد معين ، في حين أننا نجد إن في كتاب الله (القرآن الكريم) سورة كاملة مسماة بـ (الشورى) ، فالشورى والمشاورة مضادة للنظم الاستبدادية ، فنظرة الإسلام للإدارة الصحيحة للمجتمع تنطلق من المشاورة وتواصل الأفكار لقوله تعالى (وأمرهم شورى بينهم)[٢٩]، وقوله (وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ)[٣٠] ، وسيرة النبي (صلى الله عليه وآله) تدعم هذه الحقيقة .[٣١]

العدد ٥٦

٢٣ ربيع الثاني ١٤٤٠هـ
٣٠ كانون أول ٢٠١٨م

وبعد الاطلاع على مضامين هذه المبادئ ، يتضح لنا إن القرآن الكريم ، قد اتخذ هذه المبادئ وغيرها محطاً لنشر العدل والرفاه بين الناس؛ لتكون حكومة العدل الإلهي .

المطلب الثاني :

وظائف المدنية والقرآن الكريم

في هذا المطلب سنسلط الضوء على الوظائف الرئيسة والمهمة لبناء الدولة المدنية ، وسنعقد موازنة بين ما تدعو إليه ، وما جاء في كتاب الله .

فمن الوظائف ما يأتي :

أولاً : بناء المراكز العلمية والمؤسسات التابعة لها وتوفير مستلزماتها.[٣٢]

نظرة القرآن الكريم لهذا الأمر : قال تعالى (وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ويزكيهم)[٣٣] وقوله (ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة)[٣٤] إذ يقول الشيخ محمد عبده ويذكر قوله صاحب المكاتيب " إن هذا الدين الذي جاء به (صلى الله عليه وآله) قد اضطرهم إلى تعلم الكتابة والقلم وأخرجهم من الأمية ؛ لأنه دين حث على المدنية وسياسة الأمم " [٣٥]

وزيادة على ذلك وجود المساجد التسعة الموجودة في المدينة المنورة ، فضلاً عن المسجد النبوي،في حكومة النبي(صلى الله عليه وآله) كانت محط للمسلمين الذين يتعلمون القرآن الكريم والكتابة والقرآءة ، كما وقد حث النبي (صلى الله عليه وآله)المسلمين على الكتابة والقراءة ، وما أمر أُسارى بدر إلا دليل على حرصه على العلم عندما جعل إطلاق سراحهم مقابل تعليم عشرة من المسلمين ، ولم يقتصر التعليم على الذكور فقط ، وإنما كان للإناث ما كان للذكور، فقد كانت فاطمة (عليها السلام) وبعض زوجات النبي (صلى الله عليه وآله) يعرفن القراءة.[٣٦]

والمطلع على سيرته (صلى الله عليه وآله) يجد مجموعة من الأحاديث المتواترة تحث على العلم والاجتهاد في تحصيله منها : ((طلب العلم فريضة))[٣٧] وقوله((من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك طريقاً الى الجنة...))[٣٨]

يريد أن يبيّن (صلى الله عليه وآله) إن العلم ليس له زمان ومكان فهو مستمر من المهد إلى اللحد ، فإذا حسبنا الأمر بحسابات اليوم ، تتحصل النتيجة الآتية؛ إنه (صلى الله عليه وآله) قد قام بتأسيس وتوفير المراكز البحثية المسماة اليوم بوزارة التربية والتعليم ، بمعنى إن القرآن الكريم لم يكن بمنأى عن تحصيل العلوم واكتسابها كما أوضحنا .

ثانياً : الاهتمام بالمرأة وشؤونها بوصفها نصف المجتمع .

المرأة على مر التاريخ كانت تعاني ألواناً من الاضطهاد والظلم،ويمكن تقسيم هذا التاريخ على مرحلتين: الأولى:مرحلة ما قبل التاريخ: فالمعلومات عنها ضعيفة وليست دقيقة،فيمكن أن يكون الإيجاب ويمكن السلب في حياة المرأة والتعامل معها.

والمرحلة الثانية: مرحلة التاريخ: في الكثير من المجتمعات خلال هذه المرحلة المرأة غير مستقلة،وإنما مُستَغلّة في جميع الحقوق الاجتماعية والاقتصادية والسياسية،وهذا الوضع استمر في المجتمعات حتى وقت قريب، أما في مرحلة ما قبل الإسلام وتحديداً في أرض الحجاز، كانت المرأة تعامل معاملة الكائن غير المستقل،إذ إنهم كانوا يستثمرونها بانحطاطهم ،بحيث كانوا يسترزقوا منها أحياناً فيعرضوها للإيجار. (٣٩)

أما نظرة القرآن الكريم لهذا الأمر المهم ، نجد هنالك سورة كاملة تسمى بسورة (النساء) في القرآن الكريم ، إذ يقول العلماء : إنها أقرت الحقوق الكاملة للمرأة ،فالمرأة أصبحت مستقلة ومتمتعة بكافة حقوقها الإنسانية والاجتماعية،فالمرأة في مفهوم الإسلام الركن الأساسي للمجتمع،ولا يجوز التعامل معها بتهميش.

وزيادة على ذلك نجد في القرآن الكريم العدالة ، ومنح الأهمية الكبرى من قبل الله لبعض النساء مثل السيدة آسيا بنت مزاحم ، وأم موسى ، والسيدة مريم بنت عمران ، وغيرهن...

فإن الله جعل من مريم (عليها السلام) آية كبرى ؛ لتدلل على قدرة الله في الخلق ؛ وما ولادة السيد المسيح (ع) إلا مصداق لهذا الأمر .

أما فعل النبي (صلى الله عليه وآله) فقد أهتم (عليه الصلاة والسلام) بأحد الضعيفين (المرأة) اهتماما كبيراً ، وما زواجه من (أَمة) ألا وهي السيدة (ماريه القبطية) إلا مصداق لرفع شأن المرأة ، حتى وان كانت (أَمة) ، وكذلك فعل أهل بيته (عليهم السلام)، فقد تزوج الحسن(ع) من (أَمة) وأنجبت له أولاد : عمر، والقاسم، وعبد الله . وكذلك تزوج الحسين(ع) من (أَمة) اسمها شاه زنان بنت كسرى ملك الفرس وولدت له زين العابدين(ع) وكذلك الأئمة من بعدهم ، فهذا إن دل على شيء إنما يدل على إن حكومة العدل الإلهي ؛ لا تبخس حق أي فرد من أفرادها سواءً كان ذكراً أم أنثى حراً أم عبد؛حتى تُسن السُنّة الحسنة في المجتمع .(٤٠)

العدد ٥٦

٢٣ ربيع الثاني ١٤٤٠هـ

٣٠ كانون أول ٢٠١٨م

ثالثاً : بناء نظام وقانون للضمان الاجتماعي المتضمن رعاية كبار السن والمتقاعدين .

النظرة القرآنية لذلك : قوله تعالى (خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وتُزَكِّيهِمْ)[٤١]

إن الضمان الاجتماعي يكفل لمن خدم البلاد والمعوزين عدم التشرد والتسول ، فما فرضت الزكاة إلا للمساهمة في حل المشكلات ، فالضرائب التي فرضها الإسلام إنما جاءت لحل هذه المشكلات .

فإن عنوان (بيت المال) هو مصطلح لما يجمع فيه العائدات العامة للمسلمين ، ويكون تحت يد الحكومة فينفق في طريقين :

الأول : الإنفاق العام مثل : أُسر الشهداء ، الفقراء ، والمساكين ، والقضاء ، والتعليم ، والصحة ، والعاجزين ، والعمران ، ورواتب العاملين في بيت المال ، وغيرها .

الثاني : ما هو فائض : في زمن النبي (صلى الله عليه وآله)كان يقسم هذا الفائض على عامة المسلمين ، وهو ما يسمى بالحق العام ، ويكون لجميع الأفراد من بيت المال.[٤٢]

فاستند التوزيع من بيت المال على رعاية التقسيم العادل ، فالعدالة الاقتصادية لتوزيع الثروات العامة في الإسلام لها معيارين :

أحداهما : الضمان الاجتماعي ، والاهتمام بالطبقات المحرومة والضعيفة والسعي لجعلهم في بحبوحة .

الآخر : المساواة .

فعلى هذا الصعيد ، نرى أن أمير المؤمنين (ع) قد طبق العدالة النبوية ، من خلال تطبيقه للضمان الاجتماعي ، فحكم به لكل المواطنين من يهود ونصارى ، فحينما وجد شيخاً نصراني قد بلغ من العمر عتياً يستعطي ، وبعدما استطلع على حاله ، قال : استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعتموه ! أنفقوا عليه من بيت المال.[٤٣]

فلو نظرنا اليوم بنظرة الحقيقة نجد الله قد أمر بتطبيق وزارة العمل والشؤون الاجتماعية المسماة اليوم بهذا الاسم ، إلا أن المصطلح قد أختلف ؛ لكن الجوهر واحد ؛ وزيادة على هذا نرى أن النبي (صلى الله عليه وآله)قد جعل في مؤخرة مسجده (الصفة) : وهو مكان مظلل أعد للفقراء والغرباء ، ممن لا أهل له ولا مأوى .[٤٤]

رابعاً : الاهتمام بالجانب الصحي والبيئة نظرة القرآن الكريم: إن في القرآن الكريم كثيراً من الآيات التي تدعو إلى الاهتمام بالجانب الصحي والنظافة قال تعالى ((إنما حرمت

العدد ٥٦

٢٣ ربيع الثاني ١٤٤٠هـ
٣٠ كانون أول ٢٠١٨م

عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ..))[٤٥] وقوله تعالى (أحلت لكم بهيمة الأنعام)[٤٦]،لما لهذه المحرمات من آثار صحية تؤثر على الإنسان وصحته ،ونرى النبي(صلى الله عليه وآله) قد أهتم اهتماما بالغاً بالجانب الصحي والبيئي ، فقد اتخذ من خيمة (رفيدة وأختها وكيعة) مشفى عولج فيها سعد بن معاذ .[٤٧]

أما عمله (صلى الله عليه وآله) في الجانب البيئي ، فقد جعل (المسلخ) الذي تذبح به الذبائح، خارج المدينة وقد حدد المواضع لذلك ؛ لأنه وكما هو معلوم أن الأمر مطلوب لأي مدينة عامرة، تريد أن تحفظ بيئتها ومظهرها النظيف ، واستبعاد الروائح الكريهة عن أهلها وعن محيطها .[٤٨]

فالبيئة والصحة في حسابات المدنية الحديثة مهمة ؛ وأن الحكومة المدنية في ظل الله ، قد إهتمت بهذا الأمر المهم فكانت سباقة له .

خامساً : <u>الاهتمام بالقضاء</u>

قال تعالى (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس)[٤٩] وقوله تعالى (وإِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ)[٥٠] نرى أن القرآن الكريم لم يترك هذا الأمر المهم دون علاج ، فالقضاء الإسلامي مُصمم من قبل الخالق ، ليحقق العدالة الحقوقية والجنائية بين جميع الأفراد ، قال تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول)[٥١] فكان النبي (صلى الله عليه وآله)هو من يقضي بين الناس في دولته التي أسسها ، فقد جاء في أحد بنود وثيقة المدينة ، إنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو شجار يخاف فساده ، فان مرده إلى الله (عز وجل) والى محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله) [٥٢]، ومن ثم أوكل بعض صحابته دكت القضاء في المدن المجاورة ، فقد أوكل لعلي (ع) دكت القضاء في اليمن ، وعتاب بن أسيد مكة ، وغيرهم ، فلا يتقدم لمنصة القضاء إلا من كان عارفاً بأحكام الله ، ثقة عادلاً ؛ ليستطيع استرجاع الحقوق المغصوبة من قبل الظالمين ، وينزل القصاص العادل بالجناة ، وإجبار كل معتدي على تعويض المعتدى عليه ، فالنظام القضائي ليس عمله هذا وحسب ؛ وإنما يتعدى ذلك فانه يؤثر في قراراته على الأنظمة الاقتصادية والتجارية والسياسية للدولة ، وعلى نقل الملكيات ، والإرث ، وتحصيل المعلومات .[٥٣]

فالقضاء العادل هو غاية المرسلين (صلوات الله عليهم) ، فالعدل قيمة عليا إذا طبق تشيع الطمأنينة ، وينشر الأمن ، وبدوره يقوي الثقة بين الحاكم والمحكوم ، ويسهم بنماء الثروات ، وبه تحفظ الدماء .[٥٤]

سادساً: بناء المؤسسة العسكرية

نظرة القرآن الكريم لهذا الأمر قال تعالى (وَأَعِدُّواْ لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)[٥٥] إن هذه الآية تدلل على أمر مهم ، إلاّ وهو حفظ المجتمع الإنساني من كل فوضى ، وردع كل طاغي من التلاعب بارواح الناس واستغلالهم ، فقد عمد النبي (ﷺ)على ترصين هذا الأمر ، لردع كل معتدي يحاول المساس بدولة الله التي أُنشات على يده ، فأسس الجيش الإسلامي لذلك ، فكان جيشاً صابراً رغم الإمكانيات البسيطة التي عنده ، وبمرور الزمن تأسست الشرطة ، فأصبحت للدولة آنذاك وزارة دفاع وداخلية ، بحسابات اليوم ، وبهذا قد وفرت حكومة الله الاستقرار الأمني والنفسي لجميع أفرادها .[٥٦]

وبعد هذا البيان لمجوعة الوظائف التي هي غاية الدولة المدنية الحديثة والتي نحن ندعو إليها ، نجد أن دولة الله المدنية قد سبقت تأسيس أي دولة غايتها الإنسان والعمران على الصعيد العملي والنظري ، فقد وجدنا القرآن الكريم قد أسس القواعد ولم يرك لا صغيرة ولا كبيرة فيها خدمة المُستخلف (الإنسان) إلاّ وقد ذكرها وبيّن طرقها ؛ وهذا الأمر لهو الرادع الأقوى لأصحاب المدنية (الإلحادية) الذين يريدون أن يطفؤا نور الله ، لكن هيهات فقد حفظ الله دينه من كل مُعتّداً أثيم .

الخاتمة :

الحمد لله في الأول والأخر ، حمداً كثيراً ، فنحن في نهاية هذا البحث الذي سلط الضوء على أمر مهم في عصرنا الحاضر ، ألا وهي (المدنية) هذا المصطلح الذي دعا إليه القرآن الكريم ، توصلنا إلى مجموعة من النتائج المهمة منها :

١. **إنّ مصطلح (المدنية) حديث ؛ لكن جوهره القرآن الكريم؛ لأن القرآن الكريم قد دعا في كل آياته إلى بناء الدولة المدنية التي أساسها العدل والمساواة ، وهذا ما أثبتناه في متن البحث .**
٢. **المدنية نوعان الأولى مدنية في ظل الله ، والثانية مدنية في ظل الإلحاد ، أي أحداهما تدعو للحق عن طريق الله ، والأخرى تدعو إلى الحق بإنكار وجود الله ،فيجب الانتباه لمثل هذا النوع ؛ لأن هذا النوع يدعو كما تدعو داعش لتشويه الهوية التوحيدية التي تمثل الفطرة ، أي فطرت الله التي فطر الناس عليها .**
٣. **المدنية هي دعوة إلى التطور والعمران ، وهذا ما لُمسَ في القرآن الكريم .**
٤. **المبادئ والوظائف التي تدعو إليها المدنية ، قد بُيّنَت في كتاب الله ، وعمل بها النبي (ﷺ).**
٥. **إن دولة الله المدنية التي أسسها محمد (ﷺ) دعت إلى التعايش السلمي ، وكفالة حقوق الإنسان ، وغيرها الكثير ، وهذا ما دعت إليه المدنية الحديثة .**

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

٢٣
ربيع الثاني
١٤٤٠هـ

٣٠
كانون أول
٢٠١٨م

الهوامش :

(١) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور ٤٠٣/١٣ ، ط ١، ١٤٠٥ ، نشر أدب الحوزة .

(٢) مختار الصحاح ، الرازي ٣١٧ ، ط١، ١٤١٥ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٣) ينظر : السلوك المدني مفهومة وعلاقته بالمقاصد الشرعية ، الحسين ادكوكو . ٢٠١٥ ، نشر بواسطة هوية بريس .

(٤) ينظر : تعريف الدولة المدنية ، إسراء عبد القادر ٢٠٥ نشر ٢٠١٧ .

(٥) ينظر : الدولة المدنية (المفهوم المبادئ التطبيق) و د. سامي عباس ٤ ، ٢٠١٤ ، شبكة البصرة .

(٦) ينظر : المصدر نفسه .

(٧) من سورة البقرة : ٣٠

(٨) من سورة الإسراء : ٧٠

(٩) من سورة البقرة : ٢٥٦

(١٠) من سورة الكافرون : ٦

(١١) من سورة الكهف : ٢٩

(١٢) من سورة هود : ٦١

(١٣) ينظر : تخطيط المدن في الإسلام ، جعفر العاملي ١٥-١٦ ، ٢٠٠٩ المركز الإسلامي للدراسات ، بيروت .

(١٤) من سورة النحل : ٩٠

(١٥) من سورة النساء : ٥٨

(١٦) من سورة الأعراف : ٢٩

(١٧) من سورة الحديد : ٢٥

(١٨) ينظر : الدولة المدنية معناها ومغزاها ، جمال الدين الكنين ، ٢٠١٨ ، صحيفة الراكوبة

(١٩) تخريج الأحاديث والآثار، الزيلعي ٣٤٦/١ ، تحقيق : عبد الله بن عبد الرحمن ، ط١، ١٤١٤ هـ ، دار ابن خزيمة ، الرياض .

(٢٠) ينظر : ترجمة القرآن وأثرها في معانيه ، نجدة رمضان ٩٤ ، ط١ ، (ب.ت).

(٢١) من سورة الروم :٣٠

(٢٢) العودة إلى الإيمان ، د. هيثم طلعت ١٨ ، ط٢ ، ٢٠١٦ م ، مركز براهين للأبحاث .

(٢٣) ينظر : الديمقراطية على ضوء نظرية الإمامة والشورى ، الشيخ محمد السند ٧١ ، ط١ ، ١٤٢٧ هـ ، مركز الأبحاث ، قم .

(٢٤) من سورة الحجرات : ١٣

(٢٥) بحار الأنوار ، للمجلسي ٢٢، ٣٤٨ ، مؤسسة الوفاء ، بيروت .

(٢٦) من سورة الأعراف : ٨٧

(٢٧) ينظر : التفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية ٣٥٧/٣ ، ط ٣، ١٤٠٠ هـ ، دار العلم للملايين ، بيروت

(٢٨) ينظر : حكومة الرسول (ص) دراسة تاريخية – دستورية ، د. هاشم الملاح ، ٢٠٠٢ م ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد .

(٢٩) من سورة الشورى : ٣٨

(٣٠) من سورة آل عمران : ١٥٩ .

(٣١) ينظر : القيادة في الإسلام ، محمد الريشهري ٣١٧ ، ط ١ ، دار الحديث الثقافية ، قم .

(٣٢) ينظر : الدولة المدنية (المفهوم ، المبادئ، التطبيق) ٤.

(٣٣) من سورة البقرة : ١٢٩ .

(٣٤) من سورة البقرة : ١٥١ .

(٣٥) مكاتب الرسول ، الأحمدي الميانجي ١٠٧/١ ، ط ١ ، ١٩٩٨ م ، دار الحديث .

(٣٦) ينظر : المصدر نفسه ١٠٨/١ .

(٣٧) الكافي ، للشيخ الكيني ٣٠/١ ، تحقيق : علي اكبر الغفاري ، دار الكتب الإسلامية ، باب (فرض العلم ووجوب طلبه والحث عليه)

(٣٨) المصدر نفسه ١ /٣٤ ، باب (ثواب العلم والمعلم) .

(٣٩) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، للشيخ ناصر مكارم الشيرازي ١٥٢/٢ (ب.ت) .

(٤٠) ينظر : الخلاص ، حسان عباس الحياوي ١٩٣ ، ٢٠١٠ م ، دار الكتب والوثائق ، بغداد .

(٤١) من سورة التوبة : ١٠٣ .

(٤٢)ينظر : موسوعة الإمام علي (ع) في الكتاب والسنة والتاريخ ، محمد الريشهري ٢٠٢/٤ ، ط ٢ ، ١٤٢٥ هـ ، دار الحديث .

(٤٣) ينظر : جواهر التاريخ ، للشيخ علي الكوراني ٢٥٩/١ ، ط١ ، ٢٠٠٤ م ، دار الهدى .

(٤٤) ينظر : تخطيط المدن ١٧٥ .

(٤٥) من سورة البقرة : ١٣٧ .

(٤٦) من سورة المائدة :١ .

(٤٧) ينظر : تخطيط المدن ١٦٨ .

(٤٨) ينظر : المصدر نفسه ١٧٧ .

(٤٩) من سورة النساء : ١٠٥ .

(٥٠) من سورة النساء : ٥٨ .

(٥١) من سورة النساء : ٥٩.

(٥٢) ينظر : السيرة المحمدية ، دراسة تحليلية على ضوء الكتاب والسنة ، الشيخ جعفر سبحاني ١١٤ ، ط١ ، مؤسسة الإمام الصادق (ع)، قم .

(٥٣) ينظر : النظرية الاجتماعية في القرآن الكريم ، د. زهير الأعرجي ٢٥٣ ، ١٤١٤ هـ ، مكتبة أنوار الهدى

(٥٤) ينظر :فقه السنة ، للشيخ سيد سابق ٣٩٠/٣ ، ط١، ١٩٧١ م ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

(٥٥) من سورة الأنفال : ٦٠ .

(٥٦) ينظر: التفسير الوسيط ، وهبة الزحيلي ٣٥٩/١ ، ط٢ ، ٢٠٠٦ م ، دار الفكر ، دمشق.

المصادر والمراجع:

بعد القرآن الكريم

١- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، للشيخ ناصر مكارم الشيرازي (ب.ت)

٢- بحار الأنوار ، للمجلسي ، مؤسسة الوفاء ، بيروت .

٣- جواهر التاريخ ، للشيخ علي الكوراني، ط١ ، ٢٠٠٤ م ، دار الهدى .

٤- حكومة الرسول (ص) دراسة تاريخية – دستورية ، د. هاشم الملاح ، ٢٠٠٢ م ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد .

٥- تخريج الأحاديث والآثار، الزيلعي، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن، ط١، ١٤١٤ هـ ، دار ابن خزيمة ، الرياض .

٦- تخطيط المدن في الإسلام ، جعفر العاملي، ٢٠٠٩ المركز الإسلامي للدراسات ، بيروت .

٧- ترجمة القرآن وأثرها في معانيه ، نجدة رمضان، ط١ ، (ب.ت).

٨- تعريف الدولة المدنية ، إسراء عبد القادر ، نشر ٢٠١٧ .

٩- التفسير الوسيط ، وهبة الزحيلي، ط٢ ، ٢٠٠٦ م ، دار الفكر ، دمشق .

١٠-التفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية، ط ٣، ١٤٠٠ هـ ، دار العلم للملايين ، بيروت .

١١-الخلاص ، حسان عباس الحياوي ، ٢٠١٠ م ، دار الكتب والوثائق ، بغداد .

١٢-الدولة المدنية (المفهوم المبادئ التطبيق) و د. سامي عباس ، ٢٠١٤ ، شبكة البصرة .

١٣-الدولة المدنية معناها ومغزاها ، جمال الدين الكنين ، ٢٠١٨ ، صحيفة الراكوبة

١٤-الديمقراطية على ضوء نظرية الإمامة والشورى ، الشيخ محمد السند ، ط١ ، ١٤٢٧ هـ ، مركز الأبحاث ، قم .

١٥-فقه السنة ، للشيخ سيد سابق، ط١، ١٩٧١ م ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

١٦-القيادة في الإسلام ، محمد الريشهري، ط ١ ، دار الحديث الثقافية ، قم .

١٧-العودة إلى الإيمان ، د. هيثم طلعت ، ط٢ ، ٢٠١٦ م ، مركز براهين للأبحاث .

١٨-لسان العرب ، ابن منظور، ط ١، ١٤٠٥ ، نشر أدب الحوزة .

١٩-السلوك المدني مفهومة وعلاقته بالمقاصد الشرعية ، الحسين ادكوكو . ٢٠١٥ ، نشر بواسطة هوية بريس .
٢٠-الكافي ، للشيخ الكيني، تحقيق : علي اكبر الغفاري ، دار الكتب الإسلامية
٢١-النظرية الاجتماعية في القرآن الكريم ، د. زهير الأعرجي ، ١٤١٤ هـ ، مكتبة أنوار الهدى.
٢٢-مختار الصحاح ، الرازي، ط١، ١٤١٥ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
٢٣-مكاتب الرسول ، الأحمدي الميانجي، ط ١ ، ١٩٩٨ م ، دار الحديث .
٢٤-موسوعة الإمام علي (ع) في الكتاب والسنة والتاريخ ، محمد الريشهري، ط ٢ ، ١٤٢٥ هـ ، دار الحديث .
٢٥-السيرة المحمدية ، دراسة تحليلية على ضوء الكتاب والسنة ، الشيخ جعفر سبحاني ، ط١ ، مؤسسة الإمام الصادق (ع)، قم .

٢٣
ربيع الثاني
١٤٤٠هـ

٣٠
كانون أول
٢٠١٨م

Conclusion

1. The term "civil" is shown to be modern, but its essence is the Holy Quran, because in all of its verses the Holy Quran called for the building of a civil state based on justice and equality.

2. Civilization is a civil one under God, and a civil one under atheism, one of which calls for the right through God, and the other claims the right to deny the existence of God. Attention must be paid to this type; Instinct, ie, I am tempted by God, which the people mushroom on them.

3. Civilization is a call to development and urbanization, and this is what is touched in the Holy Quran.

4. Principles and functions advocated by the Civilization, have been shown in the Book of God, and the work of the Prophet .

5. The civil state of God, founded by the Prophet Muhammad, called for peaceful coexistence, human rights, and many others. This is what modern civilization called for.